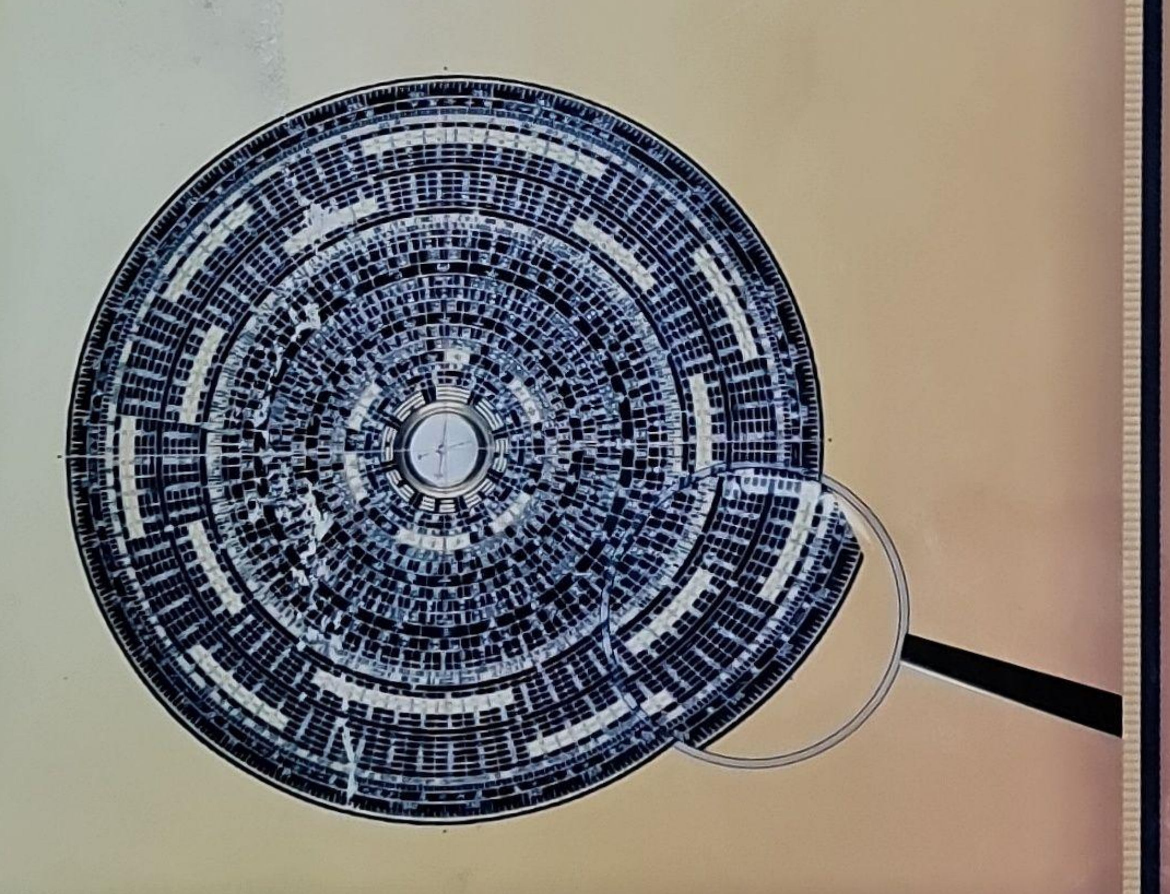
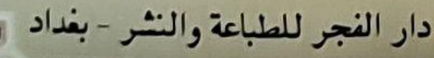



تحقيق المخطوطات العلمية

د. عماد عبد السلام رؤوف




دار الفجر للطباعة والنشر - بغداد



تحقيق المخطوطات العلمية

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف
كلية التربية ابن رشد – جامعة بغداد

بغداد ٢٠٠٥
الطبعة الثانية

دار الفجر للطباعة والنشر

الطبعة الاولى: مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ٢٠٠١م

الطبعة الثانية: دار الفجر للطباعة والنشر- بغداد ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الكتب المؤلفة في علم تحقيق المخطوطات استمدت قواعدها، في الغالب، من تجارب مؤلفيها في عالم التحقيق ، فإذا كانت هذه التجارب تختص بالمخطوطات الأدبية ، جاءت تلك القواعد لتعالج طرق تحقيق هذا النوع من المخطوطات ، وهكذا الحال فيما يتعلق بالمخطوطات الباحثة في حقول المعرفة الاخرى .

صحيح ان ثمة قواعد ثابتة تعد قواسم مشتركة للتحقيق ، على اختلاف ضروب الكتب المحققة ، من قبيل جمع النسخ المخطوطة وتحديد النسخة الأم من بينها ، ومقابلتها على غيرها ، وما الى ذلك ، إلا أن تطبيقات تلك القواعد تختلف – الى حد ليس بالقليل – بين ضرب واخر . ومن الملاحظ ان جميع ما الف في قواعد التحقيق ، جاء – الى حد الآن – ليلبي حاجة المحققين في العلوم الادبية واللغوية والتاريخية والفقهية ، وما هو داخل في نطاقها بوجه عام ، بيد أن ثمة ضروباً من العلم لمّا تزل بحاجة الى قواعد تراعي خصوصيتها ، وتستجيب للاختلافات ، وإن كانت يسيرة أحياناً بينها وبين غيرها من العلوم، وبخاصة العلوم البحتة ، كالكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والطب والصيدلة وعلم الأرض والحيل (الميكانيك) والعلوم العسكرية وغيرها. وتبتدئ هذه الاختلافات من مرحلة انتقاء المخطوط ، مشروع التحقيق، وحتى آخر مراحل اخراجه للقراء.

وسنحاول فيما يلي أن نأتي – بسرعة – على بيان بعض ما يختص به عمل المحقق لمثل هذه العلوم ، وذلك على النحو الاتي : –

١. اختيار المخطوط

ثمة مخطوطات كثيرة جدا في كل مجال من مجالات العلم ، فلابد من تحديد معيار واضح يجري على أسسه اختيار المخطوط الذي سيعنى به المحقق، فإن لم يجد مثل هذا التحديد، ضاعت جهود كبرى في اعمال ضئيلة القيمة ، وتبدد وقت طويل فيما لا طائل تحته ، ونعتقد ان أسس هذا المعيار في الاختيار هي :

أ- ان يُقدّم المخطوط اضافة جديدة للمعرفة ، كأن يتضمن فكرة أو افكاراً لم يسبق ان تناولها مؤلف من قبل ، أو ألمح اليها عالم في المجال الذي تبحث فيه .

ولا يعني هذا ان تكون كل أفكار الكتاب جديدة ، أو رائدة في بابها ، فأمر كهذا بعيد التصور، ولا يتوفر إلا في النادر من الكتب ، ولكن قد يضم الكتاب فكرة واحدة تستحق ، لجدتها ، أن يبذل الجهد في تحقيقه كله ، فكتاب " شرح تشريح القانون " لابن النفيس (المتوفى سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) يتألف من خمسة بحوث ، لم تلق من اهتمام الأطباء العرب ما لقيته مؤلفات طبية اخرى ، إلا أن بضعة نصوص منه اثارت اهتمام الأطباء المحدثين الى الحد الذي جعل اسم ابن النفيس يفرض نفسه على اوساط العلماء في كل مكان ، وهذه النصوص هي التي وصف فيها الدورة الدموية في الرئة ، وتقريره بأن عضلات القلب تتغذى من الأوعية المبثوثة في داخلها لا من الدم الموجود في أجوافه ، فهذه النصوص على قصرها النسبي جعلت من الكتاب واحداً من أبرز المؤلفات الطبية في العالم.

وكتاب " منافع الاحجار " لعطارد الحاسب البغدادي(المتوفي سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) أكثر فيه مؤلفه من " العزائم والرقي فاسترذل " على حد تعبير البيروني (الجماهر ص ٢١٧) ولكنه مع هذا انفرد بسبقين علميين ، هما

اكتشافه لخاصية الدسامة Oilness في الحجر، وخاصية الصلادة Hardness فيه، فهذان الاكتشافان يكفيان في تقديرنا أن يكونا مبررا لتحقيق الكتاب ونشره على الرغم مما اعتور الكتاب من هنات كما تقدم . وكثيرة هي كتب الكيمياء التي خصصت معظم فصولها لوصف طرق موهومة لتحويل المعادن الرخيصة الى ذهب او فضة ، وليس في هذا جدة بالطبع ، الا أن المهم فيها يكمن في جوانب ، أو ربما فقرات متناثرة ، تناولت موضوعات كيميائية علمية حقيقية ، لم يقصد مؤلفو تلك الكتب أن تكون من غاياتهم.

ب - أن يؤكد الكتاب على فكرة علمية صحيحة قال بها بعض العلماء في عصر مضى ، ولكنها نسيت ، او تنوسيت ، في العصور التالية لاسباب مختلفة. من ذلك مثلاً ان ظاهرة انفجار النجوم الضخمة وتحولها الى شظايا مادية واشعاعات وغازات تندفع بعيدا عن مركزها، كانت على الدوام من الظواهر التي اهتم بها الأقدمون بوصفها تجلب النحس للانسان، إلاّ أن نصاً واحداً في وصف هذه الظاهرة ، أورده علي بن رضوان (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ/١٠٦٧م) في كتابه " شرح المقالات الأربعة في القضايا بالنجوم لبطليموس" جعل من هذا الكتاب مهماً ، ليس بوصفه كتاب طب فحسب ، ولكن بصفته يحوي عى معلومات دقيقة ، وان لم تكن جديدة ، لاحدى اهم الظواهر الفلكية في الكون.

ومثل هذا فان فكرة دوران الأرض حول الشمس كانت معروفة في بعض الأوساط العلمية في بلاد الاغريق القديمة، لكنها تنوسيت في العصور الوسطى بتأثير الكنيسة، وشاعت بدلها فكرة معاكسة تماماً ، تقول بثبات الأرض ودوران الشمس حولها، فاذا وجدنا مخطوطاً عربياً أكد ، ولو في فقرة واحدة تلك الفكرة الصحيحة ، فإن أهمية هذه الفقرة ، رغم عدم جدتها ،

تكمن في أنها أثبتت ميزة الحضارة العربية في أنها رعت هذه الفكـرة فـي عهود التخلف لتصل بها الى العصر الحديث ،وتلك ميزة كبرى تـستحق أن تكون سبباً في تحقيق المخطوط كله ، حتى لو كانت معلوماته الأخرى عادية تماماً.

ج- وربما لم يحو مخطوط شيئاً من ذلك كله ، لكنه ازدان بصور او اشكال هندسية او جداول رياضية، وضحت ما أراد المؤلف أن يقدمه للقارئ ، فمثل هذه الوسائل يمكن أن يكون سبباً رئيساً لجعل المخطوط يغدو مهمـا ، فقـد تساعد هذه الأشكال والصور والجداول على فهم فكرة ما ، بما تقدمـه مـن بيانات دقيقة، أو أنها تصلح ان تكون، لوحدها ، موضوعا لدراسة مـستقلة. مثال ذلك ان مخطوطة "منافع الاحجار " لعطارد الحاسب (نسخة بـاريس) احتوت على نحو خمسين صورة لبشر وحيوان في اشكال وازياء مختلفـة ، وسبب وجودها في المخطوط ما اعتقده مؤلفه من أنها تملك تاثير سحرياً اذا ما نقشت على بعض الأحجار الكريمة ، والفكرة في حد ذاتها لا تقوم علـى أساس علمي مفهوم ، ولكن الصور نفسها ذات قيمة فنية عالية ، تـصلح أن تكون موضوعا لدراسة فنية قيمة.

ومثل هذا رأيناه في مخطوطة " خواص الاحجار " لحنـين بـن اسـحق، فالمخطوط (نسخة باريس) يكاد يكون نسخة منقولة عن نص عطـارد، فـلا أهمية تذكر فيه، إلاّ أن الصور التي حواها اختلفت في تفاصيلها عن صـور سابقتها ، وإن اتفقت معها من حيث الموضوعات ، وفي دراسة تلك التفاصيل مادة مهمة ، كانت موضوعا لدراسة (الأزياء) في القرن الثالـث للهجـرة، بالمقارنة بين المخطوطين المذكورين . وهنا لابد من ان يلاحظ المحقق مـا اذا كانت هذه الصور والأشكال من أصل نص الؤلف أم أضيفت اليـه فـي وقت تال للتوضيح.

د- ومن مبررات اختيار مخطوط لتحقيقه، ما يتضمنه من مصطلحات علمية تساعد على فهم معان غامضة ، أو تجارب مختبرية قصر دون فهمها الجهل بتلك المصطلحات ، وقد يكون قد ألف أصلاً لتيسير الوقوف على هذا الجانب المهم ، مثل كتب الخوارزمي في مفاتيح العلوم والقرطبي في شرح أسماء العقار ، وابن الأكفاني في ارشاد القاصد ، والسيد الجرجاني في التعريفات ، ومحمد بن يوسف الهروي في " جواهر اللغة في المصطلحات الطبية "(ويلكم بلندن) وغير ذلك، أو أن يكون الكاتب مما تكثر فيه المصطلحات المشروحة، أو الموضحة، فيفيد منها محقق المخطوطات التي تتناول حقولاً معرفية لا تفهم مضامينها إلاّ بها.

هـ- ومن تلك المبررات أيضاً ، أن يكون المخطوط شرحاً ،أو حاشية، على كتاب علمي مهم، فتأتي شروحه وتعاليقه موضحة للأصل ، مبينة لمراميه ، وهو أمر متوقع من شارح قريب زمناً من عهد مؤلف الأصل ، ومن ثم هو أقدر على فهم لغته ومصطلحاته وافكاره من باحثين متأخرين عليه بمدد متطاولة ، نقله حنين بن اسحاق الى العربية، توجد منه مخطوطتان ، أولاهما بشرح ابن ابي صادق النيسابوري (باريس)، وأخرى بشرح الدخوار الدمشقي (آيا صوفيا وبودليانا).

وبالمقابل فإن بعض المخطوطات تكتسب أهميتها من أن مؤليفها ضمنوها ردوداً علمية على كتب لمؤلفين سابقين، فبينوا بذلك شخصياتهم العلمية، ومدى استقلال تفكيرهم، وما أصاب الفكر العلمي من تطور بعد أن وضع أولئك السابقون مؤلفاتهم . مثال ذلك ما فعله ابن النفيس في شرحه لكتاب التشريح من كتاب القانون لابن سينا ، وقد ألمعنا الى ما اضافه الى هذا الشرح من ملاحظات مهمة ، وشرح محمد بن فخر الدين الآقسرائي لكتاب الموجز في الطب لابن النفيس (ويلكم بلندن ، والمركز الوطني للمخطوطات

ببغداد)، وشرح عز الدين السويدي (المتوفى سنة ٦٩٢ هـ/١٢٩٢ م) للكتاب نفسه (دار الكتب المصرية ، وويلكم بلندن) وهما مخطوطتان لم تطبعا لحد الآن ، فمثل هذه الشروح تقرب الأصل الى أفهام أهل هذا الجيل الى حد كبير.

و- وربما خلا مؤلف المخطوط العلمي من اهمية في ذاته ، ولكن كتابه يبقى - مع ذلك - جديرا بالتحقيق ، نظرا لانه نقل نصوصا من كتب ضائعة حوت ريادة في بعض حقول المعرفة العلمية ، او انه اشار الى ترجمات مبكرة لكتب علمية ما كنا نعلم بها ، او بترجمتها ، في تلك العهود اصلا وكتاب " تذكرة اولي الالباب " لداود الانطاكي(المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩م)، يستمد جانبا من اهميته من نقوله المطولة من كتب عديدة لم تصلنا ، ومثله كتاب تلميذه ابن عوض المغربي (القرن ١١ هـ /١٧ م) المسمى قطف الازهار في خصائص المعادن والاحجار " (القادرية ببغداد ،وحققته بروين بدري توفيق ، بغداد ١٩٩٠) فانه اعتمد فيه على كتب عديدة ، بالعربية وغيرها لم يحفظها لنا الزمان ، بل لم تصلنا عنواناتها فمثل هذه الكتب ، وان لم يظهر مؤلفوها باعا في التجريب والملاحظة ، لكن نقولهم هذه تجعل من مؤلفاتهم ، ان كانت مخطوطة ، جديرة بالتحقيق . وفي كل الاحوال يتوجب على المحقق ان يوضح ، في مقدمة التحقيق ، وجه الاهمية العلمية في المخطوط الذي يقدمه لقرائه ، كان تكون في جدة اكتشافاته ، او طبيعة مصطلحاته ، او شرحه لنص علمي سابق عليه ، او قدم تاليفه في موضوعه ، او منهج مؤلفه في البحث والتجربة والملاحظة ، وغير ذلك من شؤون.

٢. الخلفية العلمية للمحقق

هل يكفي لمن يتصدى لمخطوط علمي ، ان يقف في عمله عند ضبط النص كما وضعه مؤلفه متذرعا بتعريف مهمة التحقيق بانها " الاتيان بلفظ المؤلف " كما نص على ذلك المشتغلون في هذا العلم ، ام ان يتجاوز هذه المهمة الى مهام اخرى لا تقل اهمية ، من شرح للفظ ، وتقريب لمعنى ، وتفسير لمصطلح، وما الى ذلك؟ واقول : ان اسبابا قوية تجعلنا نرى ان من واجب المحقق ان يمضي في عمله ، بعد ضبطه للنص ، ليتناوله بالتوضيح الضروري لفهمه ، اذ لا يكفي ان تزدحم ارفف خزائن الكتب بكتب يتعسر على اغلب الباحثين ، والقراء ، فهمها على نحو سليم . ان تحقق التراث رسالة حضارة يقصد بها خلق وعي علمي ، او انمائه ، قبل ان تكون حرفة لمحترف ، واذا كان بعض المحققين ، من الأوربيين غالبا ، قد اكتفوا من النص بضبطه على نسخ عدة ، فذلك لانهم ما كانوا يخاطبون بصنيعهم هذا الا عددا من المختصين امثالهم ، وفي دوائر استشرافية ضيقة ، ولم تكن مهمتهم ، باية حال، تتجاوز ذلك الى خلق وعي عام لدى اجيال من الناس بقيمة تراث امتهم، ودورها الحضاري الذي ينبغي لها ان تستعيد . وهنا تواجه محقق المخطوط العلمي مشكلة فنية، قد لا يواجه مثلها من يتصدى لتحقيق المخطوطات الادبية والتاريخية وغيرها، فهذه الكتب لا تحتاج الا الى متخصص بالتراث ، متدرب على فن التحقيق، مراع لقواعده المستقرة، اما المخطوط الطبي مثلا فهو يتطلب من محققه ان تكون له ثقافة طبية خاصة الى جانب ثقافته التراثية العامة، وهكذا الحال بالنسبة للمخطوطات الرياضية والفلكية وغيرها . ومكمن هذه الحاجة ان التراث له القدرة على انجاز الخطوات الاولى في تحقيق المخطوط، من مقابلة ، وفهرسة، وتقديم وما الى ذلك ، لكنه غير قادر على فهم مواطن الجدة في المادة العلمية نفسها، فضلا

عن تقدير اهمية المخطوط نفسه من النواحي التي المعنا اليها وبالمقابل ، فان طبيبا واسع العلم في اختصاصه، لا يقدر على تحقيق مخطوط طبي ، ذلك لانه غير مطلع على منهج التحقيق، ولا دربة له على التعامل مع نص تراثي قديم ، فضلا عن ضعف تقديره للتراث الطبي كله ، لانه ربما وجد فيه شيئا باليا تجاوزه علمه منذ عهد بعيد، فلم يعد فيه ما ينفع الناس عمليا .

وفي تقديرنا فان حل هذه المشكلة يمكن ان يكون باحد امرين:

أ- ان يقوم تعاون بناء بين مختصين، احدهما بالتحقيق بوصفه علما قائما بذاته من علوم التاريخ ، والاخر بالموضوع العلمي الذي يتناوله المخطوط نفسه ، فيتولى الاول تحقيق النص العلمي من جوانبه الفنية ، فيستقضي نسخه المتوفرة ، ويحدد العلاقات بينها وصولا الى اقدمها واكثرها اتقانا، ويقابل بين هذه النسخة وغيرها بدقة ، فيثبت اوجه الاختلاف في الهوامش، وهو عمل يقوم به المحقق لاي كتاب تراثي، ايا كان موضوعه ومجاله . ويتولى الاخر تقدير اهمية هذا النص، مستخرجا مكامن الجدة فيه، ومعلقا على الجوانب العلمية البحتة بما يقربها الى اذهان القراء المعاصرين، فيضفي على المخطوط المحقق قيمته العلمية، اضافة الى قيمته التراثية. وتيسيرا لمثل هذه المهمة، صار من واجب المراكز العلمية التراثية في الجامعات العربية ان تتولى تحقيق هذه التعاون بما تملكه من علاقات مع اوساط علمية مختلفة، وما توفره من اجواء تعاون بناء بين مختلف الاختصاصات العلمية والادبية. وحيث لا يتوفر هذا التعاون، لابد للمحقق ان كان تراثيا ان يوسع من مداركه في العلم الذي يتولى تحقيق نص تراثي فيه، وان ينمي ثقافته العامة بتاريخ ذلك العلم ،بل ان يسعى لان يجعل منه شاغله الاساس، حتى يتمكن من يوفي بمتطلبات التعليق النافع على المادة العلمية التي يضمنها ذلك المخطوط مثال ذلك تحقيق الاب انستاس ماري الكرملي لكتاب" نخب الذخائر في معرفة

الجواهر " لابن الاكفاني (بغداد، ١٩٣٩)، والدكتور صالح احمد العلي لكتاب "ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة " للبوزجاني (بغداد ١٩٧٩)، وكاتب هذه السطور لكتاب" الجواهر وصفاتها " ليحيى بن ماسويه (القاهرة، دار الكتب ١٩٧٧)، وغيرهم. اما اذا كان المحقق مختصا بالموضوع نفسه كان يكون طبيبا او رياضيا او مهندسا، فلابد له من الدربة على قراءة المخطوطات التراثية ، والقدرة على فهم الفاظها، ثم المعرفة التامة بقواعد التحقيق نفسه ، والمكنة على تطبيقها. وقد وجدنا ان من هؤلاء المختصين من ضاهي التراثيين انفسهم في القدرة على تحقيق النصوص التراثية القديمة ، وفهمها ، امثال الدكتور كمال السامرائي والدكتور داود سلمان علي في تحقيقهما لكتاب "ادب الطبيب" لإسحاق الرهاوي (بغداد ١٩٩٢)، والسامرائي نفسه في تحقيقه " النافع في كيفية تعليم صناعة الطب " لابن رضوان (بغداد ١٩٨٧)، والدكتور سلمان قطاية في تحقيقه "كتاب في المعدة وامراضها ومداواتها" لابن الجزار القيروني (بغداد ١٩٨٠) ، والدكتور حازم البكري والدكتور مصطفى شريف العاني في تحقيقهما "نهاية الافكار ونزهة الابصار" لابن قاسم الاشبيلي الحريري (بغداد ١٩٧٩)، والبكري ايضا في تحقيقه لكتاب "تدبير الحبالى والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الامراض العارضة لهم" لابن البلدي (بغداد ١٩٨٠)، وكتاب "من لا يحضره الطبيب" للرازي (بغداد ١٩٩١)، ومقالة يحيى بن ماسويه "في الجنين" (تحت الطبع)، والدكتور رزوق فرج رزوق في تحقيقه " حقائق الاستشهاد" في الكيمياء للطغرائي (بغداد ١٩٨٢). وغير هؤلاء ممن يضيق المجال عن ذكرهم. ولم تتوفر لهؤلاء القدرة على تحقيق مثل تلك النصوص العسرة غالبا، الا لانهم عنوا بالتاريخ عامة ، وبتاريخ العلوم التي اختصوا بها، فالفوا فيها دراسات معمقة قبل ان يتجهوا نحو تحقيق نصوصها.

٣. المصطلحات العلمية

تحتل المصطلحات العلمية اهمية خاصة لدى محقق النصوص العلمية البحتة، حتى تكاد تكون احدى اهم المشاكل التي يواجهها في اثناء عمله، وربما لا يعاني محقق النصوص الادبية والتراثية عامة مثل هذه المشكلة، فالالفاظ في كتب العلوم تحمل معان اصطلاحية خاصة لا يفطن اليها الا المحقق الماهر، والقاعدة القائلة بان على المحقق ان يشرح معاني الالفاظ بالرجوع الى المعاجم الرئيسية المعتمدة، مثل القاموس واللسان والتاج ونحوها، لا تصح – البتة – عند تحقيق النصوص العلمية، بل ان الرجوع الى كتب اللغة والمعاجم في هذا المجال من شانه ان يفقد العمل قيمته، او ان يفسده تماما. لنتصور ان محققا وقف، عند تحقيقه كتابا في الكيمياء على الفاظ مثل (الارواح) و (الاجساد)، ففسرها في ضوء معطيات اللغة بمعانيها المعروفة، فماذا ستكون النتيجة، انه سيفسد النص تماما، وسيضلل القارئ عن غير قصد منه، فالارواح هنا هي غازات محددة، والاجساد هي سبعة من المعادن حصراً. واذا وقف محقق لكتاب في الرياضيات على الفاظ مثل (سطح) و(الميزان) و(الوفق)، ولم يعلم معانيها الاصطلاحية بدقة، بان السطح هو العدد المركب، والحاصل من ضرب عدد بعدد، وان الميزان هو تحقيق صحة الحل، وان الوفق هو اكبر عدد ينقسم عليه عددان، ضل عن فهم النص ضلالا بعيداً. وهكذا الامر في جميع العلوم ، ونحسب ان سبب قصور كتب المعاجم اللغوية عنه في ضم مثل هذه المعاني الاصطلاحية يكمن في موقف علماء اللغة الاوائل السلبي من التطور الحضاري السريع الذي كانت تشهده الحياة في المدن، وما كان يستتبعه من تطور لغوي ايضا، ونشدانهم نقاوة اللغة من اهل البادية، وهم البعيدون عن ذلك التطور كله. ومن هنا باتت المعاجم، على ضخامة موادها، غير موفية بمتطلبات محقق عقد العزم

على فهم نص علمي ليكشف عن مكامن الابداع فيه، وصار واجبا عليه الرجوع الى مناجم معلومات اخرى عله يستعين بمعطياتها في حل هذه المشكلة.

وعلى وفق قاعدة تفسير القران بالقران نفسه، فان على المحقق ان يستعين على فهم معنى مصطلح وارد في النص مشروع التحقيق بمعانيه الاخرى في النص نفسه، فان لم يجد مبتغاه، فان عليه ان يجد ضالته في الكتب المعاصرة لذلك النص، مما الف في العلم نفسه، ثم بما ياي ذلك زمنا من المؤلفات. وكنا قد اشرنا الى اهية الشروح والحواشي العلمية في تقريب الاذهان من فحوى نص علمي معين، ونقول ان مكمن هذه الاهمية يتمثل، في احد جوانبه، بتقريبه معاني المصطلحات التي استخدمها مؤلف الاصل. ان الادراك الصحيح لمعنى مصطلح ما ربما يكون سببا في اكتشاف حقيقة مغيبة، او العثور على سبق خطير في ذلك العلم موضوع التحقيق، وبالمقابل ، فان ادراكا سيئا لما يعنيه مصطلح معين ، من شانه ان يضيع على القارئ فرصة التعرف على فكرة مهمة من افكار النص المحقق، او على تجربة رائدة من تجارب مؤلفه العلمية. ان المصطلحات اذن تشبه هنا ان تكون مفاتيح العلم ، فمن واجب المحقق ان يولي هذا الجانب ما يستحقه من عناية واهتمام، والا لبث المخطوط الذي حققه مغلقا في وجه القراء والباحثين والمحققين التالين الذين يسعون من خلال فهمهم لهذا النص فهم نصوص اخرى يتولون تحقيقها. وكم يكون مفيدا اذا ما الحق المحقق بتعريفه لمعنى المصطلح الحديثة المستعملة في مجال العلم موضوع النص المذكور، انه، ان فعل، فسيكون قد وفر على الباحثين فرصة فهم النص فهما علميا عصريا.

٤. اسماء المواد الداخلة في نطاق العلم

وبالاضافة الى مشكلة المصطلح العلمي، فان على المحقق ان يجهد نفسه في حل مشكلة اخرى تتصل بها، لا تقل عنها صعوبة، وهي ضبط المئات بل الالاف من اسماء المواد الداخلة في نطاق العلم الذي يحقق مخطوطة فيه، ويزيد الامر صعوبة ان عددا كبيرا من تلك الاسماء من اصول لغوية غير عربية ، كاليونانية واللاتينية والفارسية والهندية وسواها من اللغات السائدة في العصور الماضية، ومثل تلك الاسماء يصعب ضبطه الا بجهد جهيد، لان نساخ المخطوطات يجهلون بالطبع طريقة تلفظها، فيصحفون حروفها تصحيفا بينا يصعب اكتشاف حقيقته الا بالرجوع الى اصل اللغة التي اخذ منها المصطلح نفسه، وقد فعل بعض المحققين ذلك فتوصلوا الى نتائج مهمة، منهم الاب انستاس الكرملي في تحقيقه "نخب الذخائر"، اذ اعانته معرفته بالعديد من اللغات القديمة على تحديد معاني بعض اسماء الاحجار الكريمة والثمينة، ومن ضبطها ضبطا محكما، ومنهم ايضا الدكتور ادوار القش في تحقيقه لكتاب القانون لابن سينا (طبعة بيروت ١٩٨٧)، فانه اورد الأسماء الأدوية الماخوذة عن الاغريقية بصورتها التي عليها بهذه اللغة، فحل بذلك ما اوجده النساخ من اشكال. وهكذا فعلى المحقق ان لا يركن، في ضبطه لفظ معين، الى صورته في بعض ما يقع تحت يديه من كتب، وان اشتهرت بين الناس، لانه يجوز ان يكون الطابع ، او الناشر، قد اعتمد نسخة كتبها ناسخ غير مختص، وهو في الغالب كذلك، فتسلل الخطا الى هذه الطبعة، وربما مسخت الاسماء مسخا فلم يعد ممكنا التوصل الى حقيقتها الا بجهد جهيد، ومراجعات كثيرة. وهنا ارى مناسبا الاشارة الى اننا حينما شرعنا بتحقيق الجزء الخاص بالاحجار والنبات من موسوعة ابن فضل الله العمري المعنونة "مسالك

الابصار في ممالك الامصار" هالنا ما لاحضنا من نقل المؤلف جميع مادة كتابه تقريبا من كتاب الجامع لقوى الأدوية المفردة لابن البيطار، ولكننا لما اخذنا بمقابلة المخطوط على النسخة المطبوعة من "الجامع"، وجدنا ثمة اختلافات غير قليلة بين اسماء الاحجار والنبات الواردة في "المسالك" وبين ما يماثلها في كتاب ابن البيطار، ولم نتوصل الى صحة أي من اللفظين الا بعد ان استعنا بكتب تراثية اخرى، فضلا عن مقابلتها على الفاظها غير العربية الواردة في كتب اخرى، مثل "معجم اسماء النبات" للدكتور احمد عيسى وغيره. ومن المفيد جدا ان يرفق المحقق الاسم القديم بما يقابله من الاسماء الحديثة، وبخاصة منها الاسم العلمي الذي هو في الغالب ماخوذ من اللاتينية، لان في هذا الارفاق ما يسهل على القارئ، ان كان باحثا، تحديد مكونات ذلك المسمى، ان كان حجرا، او نباتا، او ظاهرة .. الخ، من ثم يسهل عليه فهم مضمون النص المحقق فهما علميا معاصرا.

ولسائل ان يسأل: اين يضع المحقق مثل هذه الشروح لمئات من الألفاظ التي قد يضمنها المخطوط العلمي الذي يقوم بتحقيقه؟ ونقول: اذا كانت عادة المحققين قد استقرت في الوقت الحاضر على وضع شروحهم عند ورود الالفاظ المبهمة في المتون مباشرة، فان محققي المخطوطات العلمية لم يتفقوا بعد على طريقة واحدة في وضع مثل تلك الشروح، ومكان وضعها، فهم في هذا الامر على رايين رئيسين، هما:

أ- ان توضع شروح الالفاظ والمصطلحات العلمية عند ورودها لاول مرة، اسوة بعمل المحقق للكتب الادبية والتاريخية ، وذلك ليسهل على القارئ ان يدرك منذ الوهلة الاولى معانيها، فييسر له ذلك فهم النص العلمي اينما وردت من بعد. ومن الامثلة على هذه الطريقة ما فعله محقق الطبعة البروتية الجديدة لكتاب القانون لابن سينا، فانه حرص على شرح كل لفظ في الهامش

عند وروده في المتن. وما قام به الحكيم محمد سعيد والدكتور وانا أحسان إلهي الباكستانيان حينما فضلا تزويد كتاب "الصيدلة " للبيروني (باكستان ١٩٦٩) بهوامش عديدة تضمنت كتابة اعلام اليونانيين بالحروف اللاتينية ، وكتابة الاسماء للادوية باللغات الأوربية الحديثة. ومن ذلك ايضا كتاب "النافع في كيفية تعليم صناعة الطب" لابن رضوان، فان محققه الدكتور كمال السامرائي، فضل ان يشرح غوامضه من الالفاظ العلمية في هوامش مناسبة تناثرت في صفحات الكتاب.

ب- ان تجمع هذه الشروح وترتب على هيئة معجم هجائي يوضع بصفة ملحق بالكتاب المحقق، وذلك ليرجع اليه القارئ كلما مر عليه هذا اللفظ، اذ يصعب عليه، حتى لو كان متخصصا، ان يتذكر مضمونه عند وروده بعد صفحات عديدة من الكتاب، وحتى يفيد منه الباحثون، وبضمنهم المحققون، عند البحث عن معنى اللفظ متى ما ورد في كتاب اخر، فلا يتطلب الامر حينذاك غير مراجعة هذا المعجم، دون قراءة الكتاب كله، والبحث عن ضالتهم في ثناياه. ولعل ما فعله الدكتور حازم البكري في تحقيقه لكتاب "المنصوري في الطب" ياتي نموذجا جيدا على هذه الطريقة من العمل، فهو اضاف الى الكتاب سبعة ملاحق، سماها فهارس وليست كذلك، لانها – في الحقيقة – معاجم متكاملة بالالفاظ النادرة واسماء الادوية والامراض والحيوان والاطعمة والادوية المركبة والاوزان والمكاييل الواردة في تضاعيف الكتاب مع شروح اضافية لها، وقد تضمنت هذه الشروح وصف كل مادة وأعراضها اذا كانت مرضا، او اطوارها اذا كانت كائنا حيا، واوجه الفائدة الطبية منها، ولكنه ام يذكر الاسماء العلمية لهذه المواد من نبات وحيوان الا عرضا.

وتوسط فريق من المحققين بين الطريقين، فوضع شروحه في هوامش المتن، حيثما ورد اللفظ العلمي، ولكنه رتب معجما بهذه الالفاظ اقتصر علـى مـا يقابلها من الالفاظ العلمية العصرية، منهم الدكتور البكري نفـسه والـدكتور مصطفى شريف العاني في تحقيقهما لكتاب "نهاية الافكار ونزهة الابـصار" للاشبيلي، وقد تقدمت الاشارة اليه، والدكتور سلمان قطاية في تحقيقه لكتاب "في المعدة" لابن الجزار، فانه اكتفى بصنع معجم بالالفاظ العلمية وما يقابلها من لفظ علمي عصري، دون شرح اصلا، وهي طريقته في تحقيقه لكتـاب "الكفاية في الطب" المنسوب لابن رضوان فانه وضع معاجم باسماء الادويـة النباتية المفردة ، واخر بانواع الادوية المركبـة، وثالـث بـانواع الاوزان والمكاييل الصيدلانية العربية، وزاد فوضع مقابلات كل لفظ عربي باللاتينية والفرنسية والانكليزية . ونظير هذا ما صنعه حسين الحموي فـي تحقيقـه لكتاب "منافع الاغذية ودفع مضارها" لابي بكر الرازي (دمشق ١٩٨٤) فانه اضاف شروحا لمعظم الكلمات الواردة في هوامش المتن، حتى فاقـت هـذه الشروح على مادة الكتاب مرات عدة، ومع ذلك فانه الحق بالكتـاب ملحقـا كبيرا تحدث فيه عن قيمة كثير من المواد الغذائية الواردة فيه، وما لم يرد فيه ايضا لعدم معرفة الناس به في عصر تاليفه، مثل الشاي والقهوة، وربما كان في هذا المعلومات شيء من تطويل، لكن لا مشاحة في انها تفيد في فهم هذا النص العلمي المهم.

٥. الصور والاشكال التوضيحية

اشرنا – فيما تقدم – الى ان من المخطوطات العلمية ما يستمد اهميته ممـا يحتجنه من رسوم ومخططات وجداول، فعلى محقـق هـذا الـضرب مـن النصوص ان يولي هذا الامر جانبا كبيرا من عنايته، وذلك بان يحرص على نشر جميع الرسوم الملونة بالوانها التي رسمت بها ما امكنه ذلك، لان مـن

شان نشرها مجردة من تلك الالوان ان يفقدها جانبا من اهميتها العلمية، فضلا عن اهميتها الفنية ، فان هذه الرسوم تمثل - غالبا - نباتات طبية، او حيوان، ونشرها بصورتها الاصل يضمن - في اقل تقدير - امكان التعرف عليها، ومعرفة خصائصها التي من اجلها وضعها المؤلف في كتابه. اما الاشكال التوضيحية، وغالبا ما تكون في مجال الهندسة والفلك، ففي وسع المحقق ان يعيد رسمها بدقة توفرها له وسائل الرسم الحديثة، على ان لا يخرج على ما اراده المؤلف من شكل . مثال ذلك ما فعله رامزي رايت عند ترجمته لكتاب "التفهيم لاوائل صناعة التنجيم" للبيروني (لندن ١٩٣٣) ، فانه اعاد رسم جميع الاشكال الهندسية بوسائل وقياسات اكثر اتقانا، فحقق بذلك ما اراده المؤلف وقصرت دونه وسائله المتاحة له في عصره. وما قام به الدكتور احمد السعيد دمرداش في تحقيقه كتاب "استخراج الاوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني عليها" للبيروني ايضا (القاهرة) فقد اعاد رسم جميع الاشكال الهندسية المثبتة في الاصل رسما جديدا متقنا، مما وضح النص وابان عن افكار المؤلف على نحو اكثر دقة، وهذا ما فعله الدكتور احمد يوسف الحسن عند نشره نموذج من تحقيقه كتاب "الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل" لابن الجزري (مجلة تاريخ العلوم العربية، حلب مج ١، عدد١، ١٩٧٧) فانه بعد ان نشر صور الكتاب من نسخه المخطوطة، بالوانها الاصلية، اعاد رسم الالات الميكانيكية الواردة فيها رسما هندسيا دقيقا ملتزما بالاصول الخطية التي اوردت صور تلك الالات . وربما راى محقق ان يضيف اشكالا من عنده توضيح المعنى الهندسي للمسالة ، فهذا امر حسن في ذاته، على ان يصرح بجلاء تحت هذا الرسم انه (رسم المحقق)، وخير مثال على ذلفك ما فعله الدكتور علي اسحق عبد اللطيف حينما حقق رسالة "مساحة الاكر بالاكر للسجزي" (مجلة المورد، مج ١٦، عدد ٢، ١٩٨٧) فانه

اضاف رسوما مجسمة الى النص ليوضح ما اراد ان يبينه المؤلف بصورة افضل ، لكنه ذكر ان هذه الاضافة هي له، وبين سببها. وكان اكثر المؤلفين العرب يميلون الى كتابة اقيام الاعداد في اشكالهم وجداولهم بطريقة الحروف لا الارقام، ونرى انه في وسع المحقق ايضا ان يعيد كتابة هذه الاقيام رقما لتغدو مفهومة من القارئ، على ان ينبه الى ذلك في مقدمة التحقيق.

٦. الاستعانة بالترجمات القديمة

الترجمة التي يقوم بها مترجم لنص علمي تعبر عن فهمه له ، لفظا ومعنى، فاذا ما وجد محقق للنص الذي يتولى تحقيقه ترجمة قديمة قام بها مترجم الى لغة اخرى، كان لابد له من الاستعانة بهذه الترجمة في فهم مضمون النص المذكور، وفي تحديد معاني الفاظه ومصطلحاته ايضا. ومن المعلوم ان كثيرا من الكتب اليونانية ترجمها العرب الى العربية والى السيريانية معا، فوجود احدى الترجمتين يفيد في تحقيق الترجمة الاخرى، والامثلة على ذلك كثيرة، منها كتب جالينوس وابقراط في الطب، فكتاب "جوامع مقالات جالينوس في التدبير الملطف" (مخطوط في آيا صوفيا) هو حقيقته مقالة واحدة ترجمها حنين بن اسحاق الى اللغتين معا ، ومثله "كتاب الصناعة" لجالينوس، و"ثمار تفسير جالينوس لكتاب قاطيطريون لابقراط" ، "وكتاب طبيعة الانسان" لابقراط الذي ترجمه حنين الى السيريانية ، وترجمه عيسى بن يحيى الى العربية، والرسالة الطبية المعروفة "بكناش اهرن"، التي الفها الطبيب اهرن بن اعين بالسيريانية ، ترجمها ماسرجويه البصري في العهد الاموي، ثم ترجمها فيما بعد ابن ماسويه وحنين معا، وكتاب "تقدمة المعرفة" لابقراط فسره جالينوس ، فترجم حنين النص اليوناني لابقراط الى العربية (طبع بالنجف بتحقيق صادق كمونة)، اما تفسير جالينوس فترجمه عيسى بن يحيى (باريس وايا صوفيا وشتاينشتايدر وبلدية الاسكندرية). والامثلة على هذا

النوع من الكتب لا مجال لذكرها هنا لكثرتها، فاي كتاب له ترجمة الى غير لغته تكون تلك الترجمة مفيدة في تحقيق الكتاب المعني الى حد كبير. ومن ناحية اخرى فان جملة وافرة من الكتب العربية ترجمت في عصر الترجمة الاوربية الى اللاتينية والقشتالية وغيرها، فهذه الترجمات تفيد ايضا في تحقيق النص العربي اذا لم تتوفر نسخ مضبوطة يطمئن المحقق اليها، او انه يستعين بها لتحقيق فهم افضل للنص المذكور. وعلى سبيل المثال فان كتاب "تقدمة المعرفة" المشار اليه هنا قد ترجم من العربية الى اللاتينية على يد قسطنطين الإفريقي في القرن الحادي عشر للميلاد ، كما ترجمت كتب طبية اخرى على يد هذا المترجم، وترجمات حنين لكتب جالينوس ترجمها الى اللاتينية ماركوس الطليطلي، كما ترجم اصطفيان السرقسطي "اقراباذين" ابن الجزار الى اللاتينية ايضا، وغير ذلك كثير.

٧. الملاحق

يسعى محقق المخطوط العلمي الى كل ما من شانه خدمة النص بما يوضحه للقارئ بالشرح والتوضيح، فاذا ما وجد ان المادة العلمية تستوجب مزيدا من الجهد لتوضيح امر ما، وان هوامش المتن تضيق بمثل تلك الجهود، لجا الى اصطناع الملاحق الضرورية لتحقيق هدفه، وتختلف اغراض هذه الملاحق بحسب طبيعة المخطوط نفسه، وجدة الموضوعات التي يتناولها، من ذلك اننا وجدنا مناسبا ان نلحق كتاب "الجواهر وصفاتها" لابن ماسويه، بملحق يتضمن معجما موسعا باسماء الاحجار، وبضمنها التي ذكرها ابن ماسويه، وبعض المعلومات الضرورية عنها: الوانها، وصلادتها، ومواطنها، وتركيبها الجزيئي، وبعض خصائصها الاخرى. ووضع محققا كتاب "الحاوي في الحساب" لابن الهائم (بغداد ١٩٨٨)، وهما الدكتور رشيد الصالحي وخضير المنشداوي، ملحقا مهما تضمن مقارنة بين طريقة ابن الهائم في حل بعض

العمليات الرياضية وطرق حديثة اخرى في حلها وهو ما يشبه صنيع الدكتور علي اسحق عبد اللطيف في تحقيقه "مساحة الاكر بالاكر" للسجزي، فانه اضاف شروحا مهمة تضمنت اعادة حديثة لحل مسائل الرسالة الهندسية، مبينا ما اصاب به مؤلفه، وما اخطا فيه. واضاف الدكتور محمد يوسف حسن والدكتور محمود بسيوني خفاجي لتحقيقهما كتاب "ازهار الافكار في خواص الاحجار" للتيفاشي (القاهرة ١٩٧٧)، ملاحق عديدة، تضمنت دراسات عن الاوزان التي اوردها المؤلف المذكور، واقيام الجوهر وثمنه، ومدلول الاصطلاحات الاقتصادية الواردة في الكتاب، والموزونات وجداول مقارنة بين العملات المستعملة، ومواد كاملة في تاريخ كل حجر وصفه التيفاشي وخصائصه، وجداول جيولوجية في الاحجار كما وردت لدى بعض الباحثين المحدثين. وفي هذه الملاحق من الجدة ما زاد في قيمة الكتاب لانه كشف عن جوانب الابداع والابتكار لدى العلماء العرب في هذا المجال الدقيق من مجالات العلم ، ووضع محققا "ادب الطبيب" ملحقا ببعض المصطلحات الطبية الواردة في الكتاب، بينما اضاف الدكتور رزوق فرج رزوق ثبتا الى كتاب "حقائق الاستشهاد" في الكيمياء للطغرائي، ضمنه "الالفاظ والرموز والمصطلحات الكيماوية التي وردت في الرسالة"، كما اضاف ملحقين لرسالة "ذات الفوائد" للطغرائي ايضا (المورد، مج ٣، عدد ٣، ١٩٧٤) تضمنت اولهما تعريفا جيدا بالحكماء والعلماء الذين ورد ذكرهم في الرسالة، من العرب والهنود واليونانيين وغيرهم، وتضمن الاخر الالفاظ والرموز الكيماوية الواردة في الرسالة المذكورة. ومثل هذه الالفاظ والرموز تفيد في فك معان مبهمة في هذا العلم بخاصة، فان مؤلف كتب الكيمياء تعمدوا اخفاء اسرار صنعتهم وراء كلمات لا يعرفها الا اهلها، ولا يمكن فهم هذه الكلمات الا استنتاجا من وصف عدد من العمليات الكيماوية.

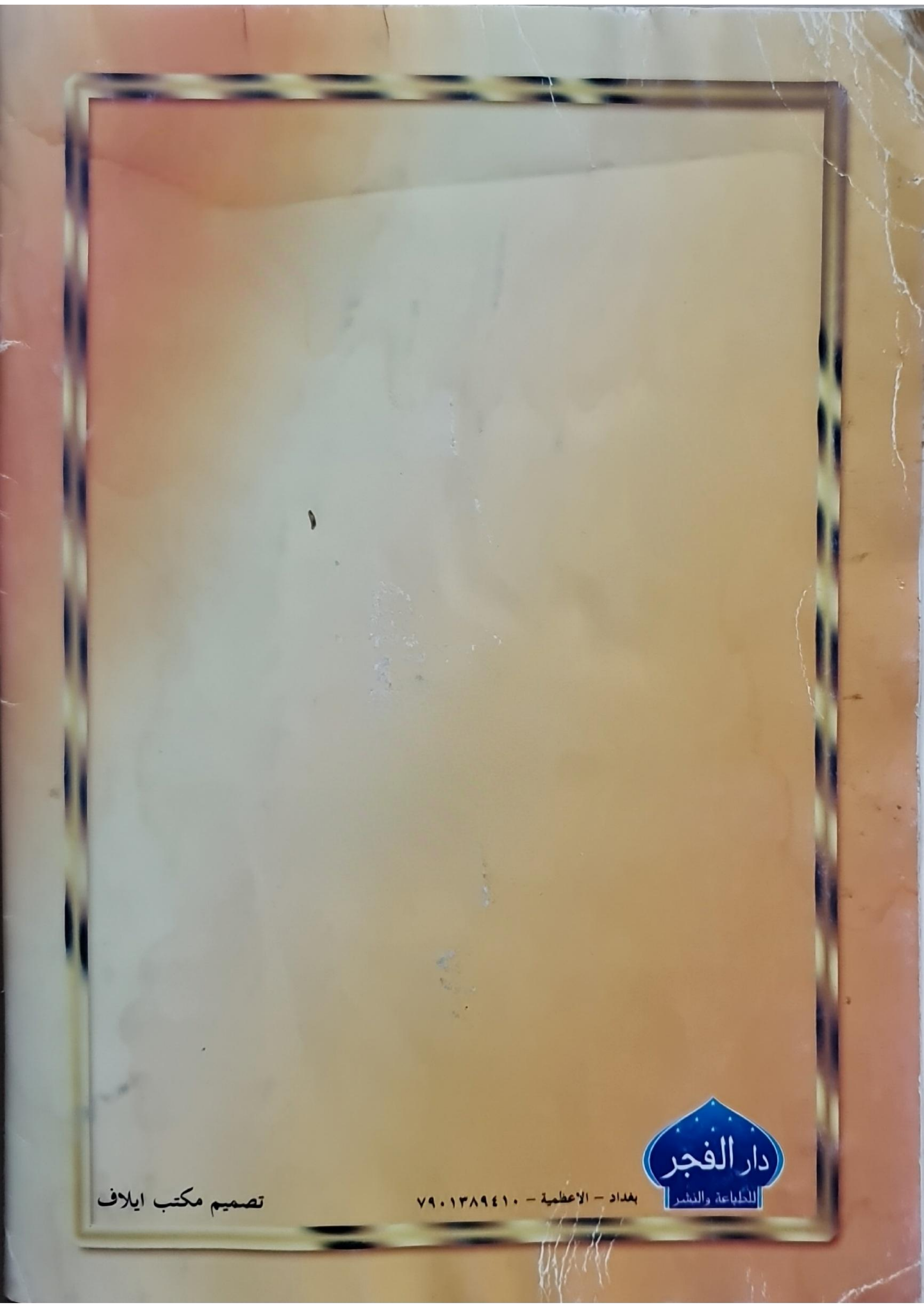
٨. الفهارس

ان اضافة فهارس تفصيلية هجائية الى كتب التراث المحققة مـــن مكمـــلات عمل المحقق ايا كان موضوع النص الذي يقوم بنشره، ولكنه فـــي الكتـــب العلمية ياخذ بعدا اكثر خطورة، لان من شان النص العلمي ان يتضمن اسماء لمواد نباتية ومعدنية وحيوانية وكيميائية وادوية مفردة ومركبـــة وغيرهـــا، ومصطلحات ذات معان خاصة ، واوزان مستعملة في العمليات المختبريـــة، وعنوانات لكتب اعتمدها مؤلف النص المذكور، واسماء مؤلفين من العلمـــاء الذين سبقوه في موضوعه، وما الى ذلك من شؤون. ومن دون فهارس تشمل كل هذه المواد وغيرها يصبح من الصعب على القارئ والباحث، الافادة من النص المحقق. وربما افرد محققون مجلدا خاصا بهذه الفهارس، حينما يكون الكتاب المحقق على جانب من الضخامة والاهمية، كفعل الدكتور ادور القش، اذ صنع فهارس عدة لكتب القانون لابن سينا اشتملت على الاطباء والادويـــة المفردة والادوية المركبة والاوزان والمكاييل والنبات والحيـــوان والكلمـــات الفارسية الاصل والكلمات اليونانية.

خاتمة

ان مصاعب من النوع الذي اشرنا اليه يجب ان لا يكون مثبطا لهمم المشتغلين في تحقيق التراث العلمي، بل الامر على الضد من ذلك تماما، فان تحقيق نص علمي فيه كشف جديد، من شانه ان يخلد اسم محققه، فليس كالعلم شيئا تدين البشرية له بما بلغته من تقدم، ووصلت اليه من افاق. واذا كان جانبا مهما من اسهامات العرب العلمية قد بخس حقه في دراسات الباحثين المحدثين، فليس ذلك الا لعزوف المحققين عن تحقيق نصوص التراث العلمي بيبب ما المعنا اليه في هذه المقالة من صعوبات قد لا يلقاها من يعنى بتحقيق نصوص من علوم ومعارف اخرى، وقد آن الاوان لتصحيح هذا المسار، وتبديد تلك الفكرة القائلة بان " الشعر" وحده ، كان "ديوان العرب" فعلوم الطب والرياضيات والهندسة والفلك والارض والكيمياء والطبيعة وغيرها كان جميعا تمثل عناصر ذلك "الديوان" الفذ، الذي تدين له البشرية بكل ما انجزته من تقدم في العصور التالية. وان خزائن المخطوطات العديدة في ارجاء الخافقين لما تزل بانتظار المحققين الجادين، ينفضون غبار القرون عن مكنوناتها من تراثنا العلمي الزاهر، ويكشفون بصبرهم في البحث عن ما اضافته هذه الامة، الى الانسانية ، من جليل المآثر.

المحتويات


دار الفجر
للطباعة والنشر
بغداد - الاعظمية - ٧٩٠١٣٨٩٤١٠
تصميم مكتب ايلاف